التصوف فى كتاب الله

للأستاذ مختار صبرى

التصوف هو الاسلام المصفى والايمان الصافى الذى ينخلع صاحبهما من حرير الدنيا وذهبها ونعومتها ، وكلها مفاتن تلهى الناس عن ذكر الله وعن شكر النعم ، وتبعث على الخيلاء والكبر والغرور ، وما الافلاس الاخلاقى والالحاد الذى نراه متفشيا بين شراذم من الشباب المثقف الا نتيجة الطراوة التى تخلفت عن بهرج الذهب واهتزاز الحرير ، لا فرق فى هذا بين غنى وفقير ، فان كان غنيا فهو يسلك وسائل لهوه ، وان كان فقيرا فهو يتحسس طريق الغنى واشباع نزواته بكافة الوسائل دون رادع أو وازع .

فالمتصوف ينخلع من هذه المغريات ، فتطيب له الدنيا بأصوافها وأوبارها وخشونتها ، ويقوم بمهام وجوده كخليفة الله العزيز القوى ، فتنبعث منه القوة والعزة ، ولا يضيره فقر ولا غنى ، وتهون عليه مصائب الدنيا ، ويعيش على بصيرة وهدى فيعبد الله كأنه يراه ، يراه سبحانه فى كل ما يحيط به ، يراه من خلال أنفاسه وجوارحه ، فلا شيء من غير حول الله وقوته ولا شيء الا اذا شاء الله ، والله وليه فى كل أموره .

ولقد ضرب الله للناس مثلا رجلين ، أحدهما أغراه المال فغلبه الكبر والغرور وأما الآخر فهو من الصنف الثانى الذى نسميه اليوم « متصوفا » ، دخل الأول جنته ، وهو ظالم لنفسه ، قال :

« ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة » .

فقال له الآخر وهو يحاوره .

« أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ، ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة الا بالله أن ترن أنا أقل منك مالا وولدا » .

وأصبح الأول فوجد جنته صعيدا زلقا «**وأحيط بثمـــرة فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا**» .

* * *

هؤلاء الذين تعففوا عن الحرير والذهب ، قد أبدلهم الله خيرا من ذلك « **جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أســـاور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك ، نعم الثواب وحسنت مرتفقا** » .

* * *

ولقد رسم الله سبحانه دستور الصوفية فى كتابه الكريم ، فقال عز وجل فى احدى مواد الدستور :

« **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطـع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » .

وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى .

« **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » .

* * *

فالتصوف هو رسالة القوة والعزة ، وهو الحصن الذى يقى المسلم ، وهو البيضاء النقية التى أتانا بها سيد البشرية .

مختار صبرى